مقالات في الولاء

المجموعة الثانية

تأليف
الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري
أستاذ مادتي العقيدة والفقه الإسلامي
في بيروت وطرابلس

مؤسسة الرسالة

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب: ٧٤٦٠. برقياً: بيوشران

obeikandl.com

الإهداء:

إلى كل عالم جاد في حياته العلمية والعملية، مؤتمن على ما عرف من أحكام دينه وحكمه، حريص على إيصال ذلك إلى الناس ليخرجوا به من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، ولينجيهم به من خطر الشقاق والفرقة إلى قوة التآلف والوحدة ليصبحوا بذلك سادة في الأمم بعد أن صاروا بتفرقهم وضعف إيمانهم أشبه بالغنم.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الكتيِّب المتواضع ليكون تذكرة لهم بدورهم الحقيقي وغايتهم السامية.

المؤلّف

obeikandl.com

obeikandl.com

المقـــدّمَة

إنَّ الحمد لله تعالىٰ نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله خير نبي اصطفاه وإلى هداية الناس أرسله وقد أنزل عليه القرآن الكريم ليكون عنصر بناء كيان الأُمَّـة الإسلاميـة على صعيد القمَّة وعلى صعيد القاعدة، لتتخذ هذه الأُمَّة دورها في الصراع المحلي والدولي على ظهر هـذه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنَّه لا خير في جسد لا رأس له ولا خير في رأس لا جسد له، كما أنَّه لا خير في رأس متعدد الأجساد ولا في جسد متعدد الرؤوس لأنَّ كل ذلك خلاف سنة الله تعالىٰ الشرعية وخلاف سنة الله تعالىٰ الكونية.

وبعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من سلسلة (مقالات في الولاء) في إطار السعي لتحريك موضوع وحدة الولاء بين المؤمنين بالله تعالىٰ في هـذه الآونة التي كثر فيها الاختلاف واتَّسع فيها الشقاق والتمزق في الأُمَّة حتى أصبح هو الأصل فيها والمألوف فيما بين أبنائها من العاملين في حقـل الدعوة، وحتى انتشر ذلك فيهم وصار من أبرز مظاهر العمل الإسلامي في هذه الآونة وأضحىٰ من يدعو بينهم إلى وحدة الولاء على قيـادة واحدة

كأنَّـه قد أتىٰ منكراً من القول وكأنَّ لسان حال الكثير من هؤلاء يقول مقولة أولئك الذين دعاهم رسولُ الله ﷺ لعبادة الله تعالىٰ وحده ونبذ ما يعبد من دونه من الآلهة فيما أخبر الله تعالىٰ عن قولهم: ﴿**أَجَعَلَ الآلهة إلـهاً واحداً إنَّ هـٰذا لشيءٌ عجاب وانطلق الملأ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هـٰذا لشيءٌ يُـراد مـا سمعنـا بهـٰذا في الملَّة الآخـرة إنْ هـٰذا إلاَّ اختلاق**﴾.

إنَّ في هذه الأُمة طاقات وإمكانات مادية ومعنوية كبيرة إلاَّ أنَّها في ظل تعددية مراجعها وقياداتها ذات الأهواء المختلفة والتطلّعات المتضاربة والأطماع المتعاظمة تـتبدد هذه الطاقات بسبب ما ينشأ عن تلك التعددية من صراعات سواء على صعيد الجماعات أو الجمعيات أو الحركات أو الأحزاب أو التنظيمات أو الشخصيات أو الدول حيث يسعىٰ كل من هؤلاء إلى النموّ على حساب الآخرين لإلغائه والحلول مكانه فينتشر التحـاقد والتباغض بينهم على صعيد القمَّة وعلى صعيد القاعدة فيضعف الجميع ويستغل العدو ذلك لفرض هيمنتـه عليهم واختطاف حقـوقهم على كل صعيد سياسياً كان أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو تعليمياً أو ثقافياً أو عسكرياً.

ولهذا كان لا بدَّ من إعادة النظر في هذا كله وبذل الجهود الكبيرة لإعادة اللحمة في الأُمة بالدعوة إلى توحيد القيادة ولو على مراحل.

ومن هنا كانت المجموعة الأُولىٰ من سلسلة (مقالات في الولاء) وهي تـتعلق بدعوة الحركات والتنظيمات والأحزاب الإسلامية إلى توحيد ولائها باعتبار ما لها من قوة على الأرض وإن كانت محدودة إلاَّ أنَّها حين يضاف بعضها إلى بعض تصبح ذات شأن، وقد بلغت عشرين مقالة.

وهذه هي المجموعة الثَّانية من سلسلة(مقالات في الولاء)[1] وهي

---

(١) وهي مأخوذة من المقالات الافتـتاحية لمجلة (الولاء) الحائطية التي نصدرها في مسجد حمزة غرة كل شهر عربي منذ رمضان سنة ١٤١٠ هـ وتوزع في عدد من مساجد طرابلس =

تـتعلق بدعوة العلماء إلى توحيد مرجعيتهم ليأخذوا دورهم في قيادة الأُمَّة من خلال شرع الله تعالىٰ.

وحتى لا تضيع جهود الحركات الإسلامية والعلماء المسلمين لا بدَّ وأن يكون للجميع مرجعية واحـدة تسهم في تجنيد طـاقاتهم لتـتكـامل الجهود فيما بينها وتصبح قوة إلى قوة.

وقد بلغت هذه المقالات أيضاً عشرون مقالة تـتناول الموضوع في كل مقالة من زاوية وإن كان فيما بينها تكرار أحياناً فهذا ممَّا لا بدَّ منه لأنَّها كتبت في فترات متباعدة على هيئة مقالات مستقلة وإن كانت تشترك في الموضوع العام.

وفي الختام أرجو الله تعالىٰ أن تكون هذه المقالات تذكيراً لإخواني من العلماء بما يجب علينا القيام به تجاه الدين والأُمَّة كي نتحمل بذلك مسؤوليتنا أمام الله تعالىٰ أولاً وأمام التاريخ ثانياً.

وصلّىٰ الله وسلَّم وبارك على محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: الشيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري

لبنان ـ طرابلس

الأربعاء ٢٠/٤/١٤١٤ هـ ـ ٦/١٠/١٩٩٣ م

= والشمال بهدف بث التوعية حول قضية وحـدة الولاء في الصفحـة الأُولىٰ منها، وفي الصفحة الثَّانية بيان لبعض صور هدي السنة النبوية وفي الثالثة والأخيرة بعض من عيون الشعر ومعلومات عامة.

obeikandl.com

المقالة الأُولىٰ(*)

دور العلماء حمل وحي السماء لتوحيد الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ منذ أن خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً وتكريماً ورفض إبليس السجود له تحقيراً له واستكباراً عليه ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين**﴾[1] دبَّ العداء من الشيطان لآدم لأنَّه كان سبباً في شقائه بإخراجه من رحمة الله تعالىٰ، فسعىٰ الشيطان بحكم هذا العداء إلى إخراج آدم من الجنَّة بالعمل على إيقاعه في مخالفة شرعية لتحل عليه العقوبة من الله تعالىٰ، كتلك التي حلَّت بإبليس بسبب المخالفة الشرعية التي صدرت عنه، فوسوس لآدم وأغراه بالأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالىٰ عنها، وما زال به يغريه ويمنيه حتى أكل منها فوقعت المخالفة وكانت العقوبة ﴿**ويَا آدم اسكن أنت وزوجك الجنَّة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هٰذه الشجرةَ فتكونا من الظَّالمين فوسوسَ لهما الشَّيطان ليبديَ لهما ما وُوريَ عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربُّكما عن هٰذه الشجرة إلاَّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين فدلاَّهما بغرور فلمَّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفِقَا**

(*) جمادىٰ الأولى سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

يخصفان عليهما من ورق الجنَّة وناداهما ربُّهما ألم أنهكما عن تِلكُما الشجرة وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدوٌّ مبين قالا ربَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين﴾(١).

وكان جزاء تلك المخالفة وعقوبتها أن أخرج الله تعالىٰ آدم من الجنَّة واهبطه إلى الأرض مع زوجته حوّاء وعدوهما إبليس ونشبت العداوة بين الإنسان والشيطان منذ ذلك الحين **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلىٰ حين، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون﴾**(٢).

ولم يدع الله تعالىٰ الإنسان يواجه الشيطان بمفرده مع ما للشيطان من قدرات هائلة على التضليل والتزوير فزوَّده بالوحي الذي يحفظه من عدوه ويدله على الطريق الذي ينجيه منه ويعيده إلى الجنَّة التي أُخرج منها إذا التزم به **﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمَّا يأتينَّكم منِّي هدىً فمن تبع هُدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**(٣).

والهدف من هذا الوحي الكريم هو ربط الناس بخالقهم فلا يتلقَّون إلَّا منه تعالىٰ وحده، ثمَّ الأنبياء يبلغونه إلى الأُمَّة في حياتهم ثمَّ يرثهم العلماء المؤتمنون عليه لمواصلة مسيرة وحدة الولاء لله تعالىٰ، والتي ينتج عنها وحدة ولاء بين المؤمنين المتجانسين في المعتقد لأنَّ الله تعالىٰ هو الذي أمر بذلك، والعلماء هم المؤهّلون لفهم هذا الأمر بعد الأنبياء ودعوة الناس إليه ليعيشوا في أمن من التمزق والشقاء والضياع والخسران في الدنيا والآخرة.

فليسارع العلماء إلى القيام بدورهم قبل أن يختطفه منهم شياطين الإنس والجن.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

المقالة الثَّانية(*)

دور العلماء في تحقيق وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ قد كلَّف الرسل بتبليغ شرائع السماء إلى البشر ليعملوا بمقتضاها فتكون حرزاً لهم من الشيطان والهوىٰ بما توجده في أنفسهم من عوامل الخير والوعي والمعرفة التي يميزون بها بين الحق والباطل، ولكنَّ الرسل كغيرهم من البشر لهم آجال ينتهون إليها، فلا بدَّ وأن يحمل هذا العلم عنهم أناس لهم من صفات الخير والغيرة على الأُمَّة ما يعينهم على تحمل مشاق وتبعات القيام بهذا الدور لتستمر مسيرة الخير والحق والإيمان الهادفة إلى تجديد طاقات الأُمَّة ورص صفوفها وتأليف قلوبها بما شرَّعه الله تعالىٰ لها من الأحكام الاعتقادية والتشريعية لتتجانس قلوبهم بتجانس أعمالهم وسلوكهم لإيجاد الجسد الواحد المتماسك القوي الذي يواجه الباطل ويلاحقه على كل صعيد.

ولمَّا كان العلماء هم الأعرف بالحكمة التشريعية فيما تركه رسولُ الله ﷺ من رصيد الهداية في كتاب الله تعالىٰ وسنَّته ﷺ لامتلاكهم أدوات الفهم الصحيح لتلك النصوص في عامّها وخاصّها ومطلقها ومقيدها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها كان واجبهم في تعليم الأُمَّة وإرشادها كبيراً وعظيماً.

(*) جمادىٰ الثَّانية سنة ١٤١٢ هـ.

ولا شكَّ أنَّ قيامهم بهذا الواجب يوجب لهم عند الله تعالىٰ كريم الثواب وعظيم العطاء، كلّما كانت المشقة التي تواجههم في الدعوة إلى مضمون الشريعة الهادفة إلى توحيد ولاء الإنسان لله تعالىٰ وإلى توحيد ولاء المؤمنين بها على رأس واحد أشد وتبعاتها أخطر، بحكم طبيعة الصراع بين الحق والباطل، لأنَّ الباطل في هذه الحالة سوف يكرّس جميع الطاقات والإمكانات لمواجهة محاولتهم هذه لطمسها وإطفاء نورها لأنَّها الطريق الصحيح للتضييق عليه تمهيداً لإزهاقه، فعليهم أن يثبتوا على ذلك حتى يأتي وعد الله لأنَّ هذه هي سنة الله تعالىٰ في الناس كما قال تعالىٰ: ﴿**لتبلونَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور**﴾[1].

فهل يسعىٰ العلماء ويتعاون معهم الجماعات والجمعيات والحركات والأحزاب والتنظيمات والشخصيات الإسلامية للقيام بهذا الدور الكبير ليعم النفع جميع المسلمين نرجو ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

المقالة الثَّالثة(*)

واجب العلماء في بيان وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ قد أكرم العلماء في كتابه فقال: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنَّما يتذكَّر أولوا الألباب**﴾[1] وقال: ﴿**يَا أَيُّها الَّذين آمنوا إذا قيلَ لكم تفسَّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العلم درجات**﴾[2] كما أنَّ رسولُ الله ﷺ قد كرَّم العلماء في سنته فقال: «العلماء ورثة الأنبياء»[3]. وقال أيضاً: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلَّا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلّماً»[4].

والسبب في إكرام الله تعالىٰ للعلماء بذلك هو أنَّهم مصابيح الهداية للناس بهم تنكشف ظلمات الشبهات عند اشتداد الملمات وكثرة النوازل

(*) رجب سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة الزُّمر، الآية: ٩.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي وأحمد وصححه ابن حبان والحاكم وله شواهد. انظر كشف الخفاء، جـ ٢ ص ٨٣، رقم ١٧٤٥.

(٤) رواه الترمذي وحسَّنه مرفوعاً عن أبي هريرة ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود ورواه أبو نعيم في الحلية والضياء عن جابر. انظر كشف الخفاء جـ ٢، ص ٤٩٦، رقم ١٣٢١.

وغموض وجه الحق فيها فيسلطون ما عندهم من أنوار النصوص الساطعة وحجج الشرع القاطعة ويطلبون حكم ما لم ينص عليه منها ممَّا هو منصوص عليه ببذل الوسع والطاقة للاجتهاد في استنباط الأحكام عبر قياس النظير على نظيره لمعرفة صحيح الرأي من عليله فيستنير الناس باجتهاداتهم ويستقيم الحال في الأُمَّة باعتباراتهم.

ونظراً لخطير دورهم في الحياة الإيمانية والعملية فقد أخذ الله تعالىٰ عليهم العهد في أن يقولوا كلمة الحق عند الحاجة إليها دون خوف أو وجل ودون مجاملة أو خجل لئلاَّ يضلّ الناس بسكوتهم وتضيع الحقوق باعتزالهم فقال تعالىٰ: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه**﴾[1].

ويدخل فيها علماء هذه الأُمَّة أيضاً، ثمَّ حذَّرهم من كتمان كلمة الحق عند الحاجة إليها فقال: ﴿**إنَّ الَّذين يكتمون ما أنزلنا من البيِّنات والهدىٰ من بعد ما بيَّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلاَّ الذين تابوا وأصلحوا وبيَّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوَّاب الرَّحيم**﴾[2].

وكلَّما كانت القضية التي يُراد بيان الحق فيها أهم وأخطر كلَّما كان البيان أوكد والصدع بالحق فيها أوجب.

ولا شك أنَّ التفكك الذي تعانيه الأُمَّة فيما بين أفرادها وجماعاتها وحركاتها وأحزابها وجمعياتها بسبب تعدد ولاآتها لاختلاف اجتهادات مراجعها والتي نشأ عنها صراع ونزاع كبير فيما بينها أدّىٰ إلى استنزاف طاقاتها المادية والمعنوية وتبديدها في صراعات هامشية ليوجب على العلماء المسارعة إلى البحث والنظر في خير وسيلة لمنع استمرار ذلك بالدعوة إلى وحدة الولاء فيما بينها على أسس صحيحة وواقعية انطلاقاً من كتاب الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ فهل يفعلون، نرجو ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

المقالة الرَّابعة(*)

أولوية العلماء في الدعوة إلى وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسوله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ قد خلق الناس وخالف بين طبائعهم وتنوع رغباتهم فمنهم حار المزاج ومنهم بارده ومنهم بين ذلك كما أنَّ منهم السهل ومنهم الحزن ومنهم بين ذلك، والحكمة فيه إيجاد فرص استخدام الناس بعضهم بعضاً ليعمر الإنسان هذه الأرض ويبني فيها الحضارة كما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعضهم لبعض وإن لم يشعروا خدم

وهذا هو المعنىٰ الذي أشارت إليه الآية في قوله تعالىٰ: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتَّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربِّك خير ممَّا يجمعون**﴾(١).

فلو أنَّ الناس جميعاً كان رؤساء لفسدت الحياة، ولو كانوا جميعاً مرؤوسين لفسدت الحياة أيضاً، كما قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضىٰ لا سراة لهم ولا سراة لهم إذا جهّالهم سادوا

(*) شعبان ١٤١٢ هـ.

(١) سورة الزُّخرف، الآية: ٣٢.

ومثل ذلك يقال في الفقر والغنىٰ إذا كانوا جميعاً أغنياء لاستغنىٰ بعضهم عن بعض، ولو كانوا جميعاً فقراء لقعدوا عن العمل، ولا حوافز تدفعهم إليه، وفي هذه الحالة وتلك فساد الحياة البشرية.

ولكل فئة من البشر ميدان عملها الذي تميل إليه بحكم طبعها وما جبّلت عليه حتى إنَّها باختصاصها به لتعطي من النفع فيه أكثر ممَّا يعطيه غيرها لما يجتمع لها من العلم والخبرة والمعرفة بمرور الزمن حتى يتكون لديها رصيد من الخبرة يجعل قولها فيه مقدماً على من عداها لإحاطتها بجزئياته وكلياته وقد قيل في المثل: إنَّ لكل ميدان فرسان.

وميدان الشريعة فرسانه العلماء فيها، الذين درسوا علومها على وجوهها الصحيحة، فبنوا صرح علمهم على أركان وأصول هذه العلوم، حتى ضبطوا بها الجزئيات والكليات، وأضحوا بذلك محط الأنظار ومحل السؤال والاعتبار.

ومن هنا ارتفعت أسهم مسؤوليتهم وازداد خطر تقاعسهم عن القيام بدورهم في تعريف الأُمَّة بما أوجب الله تعالىٰ عليها من الأحكام الاعتقادية والتشريعية التي تضبط بها العلاقة بين الله تعالىٰ وبين الإنسان وهي علاقة وحدة الولاء ونبذ الشرك به في كل صوره وأشكاله، والتي تضبط العلاقة بين الإنسان والإنسان وهي علاقة وحدة الولاء بين المتجانسين منهم في المعتقد لإيجاد الجسد الإسلامي المتماسك على صعيد القمة وعلى صعيد القاعدة لتتخذ هذه الأُمَّة دورها في الصراع المحلي والدولي على ظهر هذه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنَّه لا خير في رأس لا جسد له ولا في جسد لا رأس له كما أنَّه لا خير في جسد متعدد الرؤوس ولا في رأس متعدد الأجساد لأنَّ كل ذلك خلاف سنة الله تعالىٰ الشرعية والكونية.

فهل يسعىٰ العلماء إلى أخذ دورهم في بيان هذه الحقيقة قبل أن يأخذه الآخرون منهم فيضللوا الأُمَّة ويفسدوها.

المقالة الخامسة(*)

دور العلماء في دعم مسيرة وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ العلم نور لأهله وفضل وعنوان لكل المحامد وكلَّما كان المرء أكثر علماً ومعرفة في جانب من جوانب المعرفة الإنسانية كلَّما كان رأيه صادراً فيه عن وعي وإدراك أكثر لأنَّه يصدر عن خلفية ثابتة ومعرفة متكاملة تبعث الثقة برأيه والتقدير لحكمه لأنَّه بمنزلة البصير يمشي على هدى نحو هدفه، وبمنزلة الكشاف في يد السائر في دياجير الظلام.

والعلم الشرعي واحد من العلوم التي لا يستغني عنها البشر في حياتهم المعنوية، لما يشتمل عليه من علاج لجميع جوانب حياتهم الفردية والجماعية حيث يلبّي حاجة الفرد الوجدانية والشعورية ويقوم إحساساته ويلبّي جميع حاجاته النفسية على قاعدة التوسط الذي هو الاعتدال والاستقامة بين طريقي التطرف السلبي أو الإيجابي.

وكلَّما كان المرء أكثر اطّلاعاً على النصوص الشرعية واختصاصاً في فهم هذه النصوص، كلَّما كان أولىٰ بأن يدلي برأيه في الحلول للمشاكل الفردية والجماعية في إطار اختصاصه.

ومن هنا كان الواجب في الشرع أن يقدم قول الأعلم على العالم وقول العالم على الجاهل، كل في مجال علمه واختصاصه ليكون رأيه أكثر صواباً والعمل به أكثر نفعاً وأحسن مآباً.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وفوق كل ذي علمٍ عليم﴾[1] وقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2].

وقد حذَّر الشرع من سؤال من وهبَّ ودبَّ من الناس لئلاَّ يقودهم الجهلة إلى ما فيه هلاكهم بآرائهم الفاسدة وبضاعتهم الكاسدة التي تزيد جسد الأُمَّة المريض ضعفاً على ضعفه بما توجد فيها من زيادة التمزق والخلاف الحالق للدين والحارق لقلوب المؤمنين فقال ﷺ: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»[3].

فكلَّما صدر القول عن عالم كلَّما كان ذلك أدعىٰ إلى التقليل من فرص النزاع لأنَّه يعرف متى يعذر المخالف ومتى لا يعذر.

فليسارع العلماء إلى أخذ دورهم على الساحة قبل أن يشغلها الجهلة في المساجد والمجالس فيزيدوا في تمزيق الأُمَّة وإفسادها بدلاً من تأليف قلوبها لتوحيد ولائها.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم باب في قبض العلم بقبض العلماء، انظر مختصر مسلم، جـ ٢ ص ٢٥١، رقم الحديث ١٨٥٨.

المقالة السَّادسة(*)

أثر كلمة العلماء في بيان وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ العلم وسيلة هداية إلى الصواب سواء كان في جانب العلوم الكونية أو العلوم الشرعية، لأنَّ العالم بحقيقة الشيء يكون قد أدرك كيفيّته والقانون الذي يسير عليه فيوصله ذلك إلى مقايسة الأمور ومطابقتها ليقف على الجزئيات التي لم يتعرف إليها بالنص فيه، وهذا هو الاعتبار الذي دعا الله تعالىٰ إليه العقلاء من الناس في قوله: ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾[1] وقوله: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[2].

والعلماء المتخصصون في الشريعة الإسلامية والمتبحّرون في نصوصها وقواعدها العامة وضوابطها الهامة يمكنهم الوقوف من خلال دراساتهم الواسعة والعميقة هذه على الغاية التي تهدف إليه هذه النصوص والقواعد والضوابط لتصير جميع هذه النصوص أدلَّة واضحة ولتصير تلك القواعد براهين قاطعة على تلك الغاية العليا التي يسعىٰ الشرع إلى تحقيقها في الأمَّة وهي: وحدة الولاء في العلاقة مع الله تعالىٰ خالق

(*) شوال سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة الحشر، الآية: ٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

الكون والحياة والإنسان من جهة، ووحدة الولاء مع المتجانسين في المعتقد من المؤمنين بالله تعالىٰ من جهة أخرىٰ.

والقرآن الكريم في غاية الثراء والغنىٰ فيما يدعم ويوضح هذه الحقيقة بالنظر في الآيات الكونية فيه حيث تبتدىء أو تنتهي بلفت النظر إلى وحدة الخالق لتخضع له القلوب وتعنوا له الوجوه **﴿إنَّ في خلق السَّماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأُولي الألباب الَّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكَّرون في خلق السَّماوات والأرض ربَّنا ما خلقت هٰذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾**[1].

والقرآن الكريم في غاية الثراء والغنىٰ أيضاً فيما يدعم ويوضح هذه الحقيقة بالنظر في الآيات الشرعية فيه حيث تبتدىء أو تنتهي بلفت النظر إلى وحدة الأُمَّة لوحدة خالقها **﴿إنَّ هٰذه أُمَّتكم أُمَّةً واحدة وأنا ربُّكم فاعبدون﴾**[2].

وفي السنَّة النبوية نصوص كثيرة وغفيرة تدعم هذه الحقيقة القرآنية وتجلِّيها للعيون الناظرة والقلوب الواعية.

ومن هنا تأتي أهمية ووزن كلمة العلماء في بيان وحدة الولاء في الأُمَّة لتعيدها إلى الله تعالىٰ بعد أن شردت عنه، فهل يفعلون. نرجو ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

المقالة السَّابعة(*)

أثر وحدة العلماء في سد أبواب التخريب على الأعداء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ العلماء هم الذين يحملون كلمة الله تعالىٰ الشرعية إلى البشر لتعريفهم بما يريد الله تعالىٰ منهم أن يفعلوه ليحفظوا أنفسهم من تضليل شياطين الإنس والجن الذين يسعون إلى إفساد فرص الهداية والاستقامة عليهم في هذه الحياة ليشاركوهم المصير السيِّء يوم القيامة ولذلك أمر الله تعالىٰ باللجوء إليه والاعتصام به من شرّ هؤلاء وإضرارهم بما يوسوسونه في صدور الناس من تمويه للحقائق وتزوير للأمور فقال تعالىٰ: **﴿قل أعوذ بربِّ الناس ملك النَّاس إلـه النَّاس من شر الوسواس الخنَّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنَّة والنَّاس﴾**(١).

ومحل إعاذة الناس من تلك الوساوس هو كتاب الله تعالىٰ الحكيم وسنَّة رسوله ﷺ كما قال تعالىٰ: **﴿وأنزلنا إليك الذِّكر ـ أي القرآن ـ لتبيِّن للناس ما أُنزل إليهم ـ أي السنَّة﴾**(٢). **﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾**(٣). أي القرآن والسنَّة.

ولهذا أمر الله تعالىٰ بالرجوع إلى الكتاب والسنَّة لإصلاح أحوال

(*) ذو القعدة سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة النَّاس، الآية: ٦.

(٢) سورة النَّحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة النِّساء، الآية: ١١٣.

الأُمَّة فقال تعالىٰ: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[1].

ومن هنا أصبح لزاماً على حملة الشرع من العلماء أن يكونوا في حالة من الحذر واليقظة الشديدة حين يختلفون في فهم بعض نصوص الكتاب أو السنَّة إمَّا لعدم الوقوف على النص الوارد في القضية المختلف فيها من بعضهم وإمَّا لاشتمال النص الشرعي على ألفاظ محتملة من الناحية اللغوية فيحمله البعض على معنى ويحمله البعض الآخر على معنىٰ آخر وإمَّا لتفاوت النظر في تنزيل الحادثة أو القضية على هذا العموم الشرعي أو على ذلك، إلى غير ذلك من أسباب الاختلاف المعروفة عند الفقهاء.

ولمَّا كان الناس قادرين بطبيعتهم على التلوّن والتظاهر بخلاف ما تشتمل عليه قلوبهم للوصول إلى غايات معينة فإنَّ أعداء الأُمَّة سيلجأون إلى استخدام ذلك ضدها بإظهار التعاطف مع هذا العالم أو ذاك ليتَّخذوا من هذا التعاطف ستاراً لضرب العلماء بعضهم في بعض لنشر العداوة والفساد وتوسيع دائرة الخلاف وما يترتَّب عليه من أحقاد وكراهية بين أبناء الأُمَّة لتمزيقها وإضعافها باسم الغيرة على الدين والدعوة إليه وقد قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها الَّذين آمنوا خذوا حذركم﴾[2].

فنذكر العلماء بأن يحرصوا على التزام جانب الأدب في الخلاف فلا يثيروا القضايا المختلف فيها بين الناس ما أمكن وإذا كان ولا بدَّ فلتكن مصحوبة بالتنبيه على أنَّه لا يجوز التشنيع على المخالف طالما أنَّ هناك مندوحة في الخلاف فيها لكونها من النصوص المحتملة لسدّ أبواب التخريب في الأُمَّة على أعدائها من أجل السير بها نحو توحيد ولائها. وهم أهل للاستجابة إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) سورة النِّساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النِّساء، الآية: ٧١.

المقالة الثامنة(*)

أثر وحدة العلماء في تحقيق وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ خلق الإنسان وأودع فيه طبائع عديدة وكثيرة لتكون هذه الطبائع وسيلة في تحقيق الغاية التي خلق من أجلها هذا الإنسان وهي عبادة الله تعالىٰ: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون**﴾(١) وذلك عبر عمارة الأرض التي جعل الله تعالىٰ هذا الإنسان خليفة فيها ﴿**إنِّي جاعل في الأرض خليفة**﴾(٢). والتي أمر الله تعالىٰ الإنسان بعمارتها في قوله: ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**﴾(٣). وسيكون لذلك أجل محدد تنتهي به هذه المهمة ﴿**ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلىٰ حين**﴾(٤).

وسيُحاسب الإنسان بعد ذلك على ما كان قدَّمه في هذه الحياة عبر تلك الرحلة الدنيوية كما قال تعالىٰ: ﴿**وستردُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبِّئكم بما كنتم تعملون**﴾(٥).

والعلماء الذين هم أعرف الناس بمجملات أو تفصيلات، أوامر الله تعالىٰ للناس لوقوفهم عليها في شرائع الله تعالىٰ التي أنزلها على الأنبياء

(*) ذو الحجة سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة الذَّاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٦١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٤.

(٥) سورة التَّوبة، الآية: ١٠٥.

والرسل والتي اختتمت برسالة محمَّد ﷺ يجب عليهم أن يأخذوا دورهم في توجيه الأُمَّة وجمع كلمتها على الحق لتصبح بذلك قادرة على إثبات وجودها بين الأُمم من خلال ذلك الوزن الكبير لكلمتها وموقفها الذي تتخذه أزاء مختلف شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والحضارية المنبثق عن هدى شريعتها التي أنزلها الله تعالىٰ على محمَّد ﷺ لتحقيق العدل والمساواة بين البشر جميعاً دون تمييز بين جنس وجنس أو لون ولون أو غير ذلك من الفوارق الطارئة كما قال تعالىٰ: **﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**[1] **﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**[2] **﴿يَا أَيُّها الَّذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقسط شهداء لله ولو علىٰ أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾**[3].

ولا يتحقق ذلك العدل ما لم يكن العلماء أنفسهم في حال وحدة وائتلاف فيما بينهم في القضايا الأساسية والأُمور المبدئية العامة التي يرتكز عليها وجود الأُمَّة العقائدي والفكري الذي على أساسه يقوم بناء الأُمَّة ومن خلال محوره تكون دورة الحياة فيها، وبدونه تتصادم الجهود وتتبدد الطاقات وتتنافر القلوب فيضعف الجميع وتقع الأُمَّة بذلك تحت سلطان أعدائها وهيمنة خصومها لتتحول بعد ذلك إلى تابع لغيرها تبني أمجادهم وتحقق أهدافهم دون وعي أو شعور، فهل يسعىٰ العلماء إلى توحيد ولائهم على مرجع واحد منهم لتتوحد بذلك أُمَّتهم.

نرجو ذلك.

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ٩٠.
(٢) سورة النِّساء، الآية: ٥٨.
(٣) سورة النِّساء، الآية: ١٣٥.

المقالة التَّاسعة(*)

أثر وحدة الولاء في دعم كلمة العلماء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ أوجب على المؤمنين به إيماناً صادقاً يهدف إلى تحقيق الحق في الأرض وإلى إزهاق الباطل لتكون كلمة الله تعالىٰ هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلىٰ أن يوالي بعضهم بعضاً وأن يوالي الجميع الله تعالى ورسوله ﷺ بحكم شهادتهم أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسولُ الله وإقامتهم للصَّلاة وإيتائهم للزَّكاة وطاعتهم لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿**إنَّما وليُّكم الله ورسوله والَّذين آمنوا الَّذين يقيمون الصَّلاة ويؤتون الزَّكاة وهم راكعون**﴾[1] لتكون نتيجة ذلك أن يحفظهم الله تعالىٰ من أن تتخطَّفهم شياطين الجن والإنس في هذه الحياة الدنيا بما يوفر لهم ذلك الولاء من الغلبة الحسّية والمعنوية عليهم، وليكون مصيرهم في الآخرة الفوز بجنات عرضها السَّماوات والأرض أعدَّت للمتَّقين كما قال تعالىٰ مقرراً ذلك: ﴿**ومن يتولَّ الله ورسوله والَّذين آمنوا فإنَّ حزب الله هم الغالبون**﴾[2].

وإنَّ موالاة المؤمنين بعضهم لبعض بأن يحب بعضهم بعضاً ويناصر

(*) محرَّم سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

بعضهم بعضاً ليقتضي أن ينظر بعضهم إلى بعض نظرة تعاون وتكامل خالية من الحقد والحسد والكراهية والظنون السيئة فيشد بعضهم إزر بعض ويخضع الجميع للمرجع الواحد الذي يسعىٰ بحكم اتصال القمة بالقاعدة عبر وحدة الولاء الإسلامي العام في المسلمين إلى تحقيق مصالحهم ودفع مكائد أعدائهم المتربّصين بهم الدوائر.

ولمَّا كان العداء والكراهية من أعمال القلوب التي لا يعلم ما فيها إلَّا الله تعالىٰ كان لا بدَّ من العودة إلى شرع الله تعالىٰ في نصوصه الثابتة التي تبيِّن حقيقة ما عليه نفوس المخالفين لهم في المعتقد والسلوك.

والعلماء هم المتخصصون في دراسة الشريعة الإسلامية في أحكامها الاعتقادية والعملية أولىٰ من غيرهم من سائر المسلمين ببيان المبادىء العامة التي يجب أن تراعىٰ في الأُمَّة عندما تنشىء العلاقة بينها وبين غيرها من الأمم والدول كي لا تضع ثقتها في غير محلها فتنقلب عليها شراً وخطراً حتى إذا ما اتَّخذ العلماء قراراً وموقفاً معيناً انطلاقاً من تلك النصوص أصبح لزاماً على المؤمنين بحكم ولائهم لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ أن يلتزموا به ويدعوا إليه بعد أن يكون مرجع الأُمَّة قد تبنّىٰ ذلك الموقف الذي تقدم به العلماء لتتوحد المواقف الإسلامية فتكون القاعدة تابعة للقيادة، وتكون القيادة مرتبطة بمجلس الشورىٰ الذي يضمّ القيادات الحركية والعلمية.

فهل يسعىٰ العلماء إلى توحيد ولائهم ليتوحد ولاء القاعدة على قيادتها فتدعم كلمتهم. نرجو ذلك.

المقالة العاشرة(*)

أثر وحدةالولاءفي رفع مكانة العلماء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ قد خلق الخلق وقسَّم بينهم معيشتهم وأنزلهم من الدنيا منازلهم كما قال تعالىٰ: ﴿**ورفع بعضكم فوق بعض درجات**﴾(١):

والعلماء صنف من أصناف البشر العاملة في إطار المجتمع ولهم مكانتهم التي تليق بهم كحاملين لراية إصلاح النفس البشرية بالأحكام الشرعية ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾(٢).

ونظراً لدورهم الهام في المجتمع الذي لا يقل في أهمّيته عن دور أطباء الأجساد فقد أعطاهم الشرع المكانة اللائقة بهم فقال تعالىٰ: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾(٣).

والعلم الشرعي رحمة للناس ونور، لأنَّه يهدف إلى حماية الإنسان من عدوه الأوَّل اللدود الذي هو الشيطان الرجيم الذي يسعىٰ دائماً وأبداً في كل الأحوال وفي كل الأزمان إلى إيقاع هذا الإنسان فيما يضرّه ويشقيه في هذه الحياة وإن كان ظاهره عكس ذلك وإلى إيقاعه فيما يرديه في نار جهنم يوم القيامة انتقاماً منه بدافع الحسد له والحقد عليه ﴿**إنَّ الشَّيطان**

(*) صفر سنة ١٤١٢ هـ.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

لكم عدوٌّ فاتّخذوه عدوّاً إنّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾[1].

ولذلك وجب على العلماء الذين هم حملة هذا العلم المبارك أن يكونوا محل القدوة في أخلاقهم وفي سلوكهم ليكون لهم الاعتبار وليصير لهم بذلك صدر الدار.

وليس أكرم لهم عند الله تعالىٰ وعند الناس من أن يكونوا متآلفين متحابين متحدين يشعر بعضهم بشعور بعض ويسعى بعضهم لإكمال بعض ليأخذوا مجتمعين تحت قيادة واحدة ومرجعية راشدة موقع الرأس من بدن الأُمَّة أفراداً وجماعات وحركات وأحزاباً وتنظيمات وشخصيات ليقودوا الجميع إلى ما فيه فلاحهم وعزّهم وكرامتهم في ساحة المعترك الحضاري دون أن يتدخلوا في جزئيات أعمالهم وفرعيات تصرفاتهم ما دام أنّها لا تتعارض مع الشرع الحكيم.

فهل يسعىٰ العلماء إلى توحيد ولائهم لينعموا بالعودة إلى عزّهم وكرامتهم لإرضائهم لربهم. نرجو ذلك.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

المقالة الحادية عشر(*)

أثر وحدة الولاء في إصلاح سمعة العلماء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ خلق الإنسان من مادة وروح، وللإنسان في جانبه المادي خصال وطبائع توصل عند مراعاتها إلى المحافظة على سلامة وجودة جانبه المعنوي.

فعلىٰ الصعيد المادي:

يرغب الإنسان في أن يكون بدنه سليماً ونظيفاً وأن يكون لباسه حسناً وأنيقاً لأنَّ الجمال والأناقة ممَّا تستحسنه النفس ويألفه القلب، حتى إنَّ الإنسان ليُصاب بالضيق والحرج وثوران العاطفة عندما يرىٰ إنساناً قد أصيب في بدنه بإصابة تشوِّه البدن لما في ذلك من نقص في الخلقة يستدر العطف من بعض الناس وربما الازدراء من البعض الآخر بحسب جودة النفس أو رداءتها، ومثل ذلك يقال لدى رؤية إنسان يرتدي ملابس رثّة أو مرقّعة أو قديمة، أو مبتذلة حيث تتحرك العواطف سلباً نحو لابسها ثمَّ قد تحمل له معنى العطف أو الازدراء بحسب نفس الرائي.

وعلى الصعيد المعنوي:

يرغب الإنسان في أن يكون ذا سمعة حسنة وسيرة طيبة بطبيعته

(*) ربيع الأوَّل سنة ١٤١٢ هـ.

التي خلقه الله تعالىٰ عليها حتى إذا أُصيب في سمعته وطعن في سيرته أدّىٰ به ذلك إلى الشعور بالنقص أمـام الآخرين ممَّـا يحمله على أحد أمرين: إمَّا الانتقام ممَّن ألحق به ذلك العار أو على التخاذل والانطواء على نفسه بعيداً عن الآخرين ليصرف عن نفسه الشعور بذلكَ الأذى كلَّما رأىٰ الناس وأحسَّ بنظراتهم المرتابة فيه، وفي كلا الأمرين ضرر كبير.

والدليل على هذا المعنى المادي والمعنوي الذي ذكرناه قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّـون فيها من جـدعاء حتى تكـونون أنتم تجدعونها»[1] والجدع هو: قطع الأُذن أو شرمها والمقصود أنَّ الإنسان يولد كاملاً في طباعه كما يولد كاملاً في بدنه ثمَّ يطرأ عليه النقص بعد ذلك.

فالإنسان مجبول على حب السلامة في سمعته كما هو مجبول على حب السلامة في بدنه ولهذا فقد أوجب الشرع عقوبـة على من يتعدى على سمعته بالقذف ونحوه فأوجب فيه عقوبة حد الفرية بالجلد ثمانين جلدة كما أوجب الشرع العقوبة على من يتعدّىٰ على بدنـه بالقتـل أو بالقطع أو بالزنىٰ ونحوه فأوجب فيه عقوبـة القصاص أو الحـد جلداً أو رجماً.

والعلماء الذين رفع الله شأنهم بالعلم يجري عليهم هذا القانون فسوء سمعتهم تولد فيهم الشعور بالنقص أمام الآخرين وشعور الآخرين بالازدراء تجاههم، وأخطر ما يتعرضون له من نقد بعد الشرك بالله تعالىٰ أن يكونوا سببـاً في تشقيق الصف وتمزيقـه بتعدد ولاءاتهم فيمـا بينهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي. انظر جمع الفوائد جـ ١، ص ٢٣، رقم الحديث ١٠١.

وسعي كل منهم إلى نصرة رأيه واتجاهه ولو بتدوير الأدلة واعتساف مدلولاتها، فيسقطون من أعين الناس العامة منهم والخاصة لما يجرونه عليهم من ويلات الاختلاف ومصائب النزاع.

فهل يسعى العلماء إلى تحسين سمعتهم إلى توحيد ولائهم. نرجو ذلك.

obeikandl.com

المقالة الثَّانية عشرة(*)

أثر وحدة الولاء في تضييق مجال الخلاف بين العلماء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الخلاف بين البشر أمر طبيعي، لأنَّ الله تعالىٰ خلق الناس متفاوتين في أوصافهم المادية في أبدانهم فمنهم الطويل ومنهم القصير وبين ذلك، ومنهم الأبيض ومنهم الأسود وبين ذلك، كما هم متفاوتون أيضاً في أوصافهم المعنوية في أنفسهم فمنهم الحليم ومنهم الطائش وبين ذلك، ومنهم الكريم ومنهم البخيل وبين ذلك، ومنهم الذكي ومنهم الغبي وبين ذلك.

وشرع الله تعالىٰ يراعي في أحكامه القواسم المشتركة والعامة بين الناس فتأتي أحكامه مراعية الأعم الأغلب من البشر في طبائعهم وقدراتهم المادية والمعنوية ليتمكّنوا من الالتزام بها لأنَّ الرسالة الإسلامية عامة شاملة لجميع البشر ﴿**وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾(١) وما كان خارجاً عن القدرة المعتادة لعامة الناس ممَّا يعجز المكلَّف عن القيام به فإنَّ الشرع يسقط عنه حكمه كما قال تعالىٰ: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾(٢) ﴿**لا يكلِّف الله نفساً إلاَّ وسعها**﴾(٣).

(*) ربيع الثَّاني سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

والعلماء كغيرهم من الناس يجري عليهم قانون الاختلاف المادي والمعنوي فهم مختلفون في قدراتهم العقلية كما هم مختلفون في أوصافهم المادية، والنصوص الشرعية منها ما هو مجمل في دلالته ومنها ما هو صريح فيها، أمَّا الصريح فلا مجال للاختلاف فيه إذا كان النص صحيحاً ثابتاً وأمَّا المجمل فهو الذي يقع الخلاف فيه بين العلماء فيحمله البعض منهم على معنى بينما يحمله البعض الآخر على معنى آخر.

وربما أدّىٰ الاختلاف في الفهم بين العلماء إلى نزاع بين الأتباع حيث يسعىٰ كل طرف إلى الانتصار لرأي أمامه، فينفتح المجال لأعداء الأُمَّة كي يوسعوا الشقة ويوقدوا نار الفتنة بدعم الطرفين المختلفين بعناصر مدسوسة كما فعلوا زمن الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

ولا يخفف من فرص ذلك النزاع بين العلماء إلَّا وحدة المرجعية التي تستطيع أن تحسم الخلاف من خلال إنشاء لجنتين:

الأُولىٰ: عقائدية لبحث القضايا المختلف فيها وعرضها على الكتاب والسنَّة من جهة هيئة كبار علماء البلد.

والثَّانية: تشريعية لبحث القضايا العملية المختلف فيها وعرضها على الكتاب والسنَّة أيضاً فما كان منها لا يجوز الخلاف فيه لوجود نص صريح، يمنع المرجع من الاختلاف فيه بقرارٍ وما كان منها يجوز الخلاف فيه لوجود نص صحيح لكنه غير صحيح أو صريح لكنه غير صحيح فيجيز الخلاف فيه بقرارٍ مع وجوب مراعاة أدب الخلاف.

فهل يسعى العلماء إلى توحيد ولائهم لتضييق مجال الخلاف فيما بينهم. نرجو ذلك.

المقالة الثَّالثة عشرة(*)

وحدة الولاء بين العلماء تقلب الصراع على الأعداء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ من سنَّة الله تعالىٰ في البشر أنَّ الصراع مستمر فيما بين الحق والباطل فيهم إلى يوم القيامة كما قال تعالىٰ: ﴿**ولقد أرسلنا إلىٰ ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون**﴾[1] وأنَّ النصر يكون حليف أهل الحق في ذلك الصراع ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾[2] ولكن ذلك مشروط بأن يلتزم أهل الحق بأوامر الله تعالىٰ فينصروا هذه الأوامر بالعمل بها فإذا تحقق فيهم هذا الشرط تحقق لهم ذلك المشروط كما قال تعالىٰ: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامكم**﴾[3].

وبما أنَّ العلماء هم الأعرف بأوامر الله تعالىٰ وتشريعاته فإنَّ الواجب يقضي بأن يكونوا هم الأكثر التزاماً من غيرهم ليكونوا ـ وهم غرفة قيادة سفينة الإيمان في الأُمَّة ـ أكثر أهلية واستحقاقاً لهذا النصر فيها في كل صراع ينشب بين الحق والباطل لقوله تعالىٰ: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا**

(*) جمادىٰ الأُولىٰ سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة النَّمل، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) سورة محمَّد، الآية: ٧.

وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[1]. والعلو هنا مطلق فيشمل علو اللسان والبيان وعلو السيف والبنان.

ومن هنا فإنَّ أهل الباطل يعمدون إلى اختراق العلماء الذين هم بمثابة الحصن المتين للأمَّة بإشغالهم في قضايا ليست ذات بال أو خطورة وشأن عمَّا هو الأكبر والأخطر والذي يتقرر به مصير الأُمَّة إمَّا عن طريق دسّ أناس ينتحلون سمة العلماء ليكسبوا ثقة المغفلين من أبناء الأُمَّة والغافلين عن حقيقة هؤلاء فيستغلّوا غيرتهم الدينية لضرب أبناء الأُمَّة بعضهم ببعض وتفريغ طاقات الأُمَّة في معارك هامشية جانبية، وإمَّا عن طريق دسّ الشبهات على المخلصين من علماء الأُمَّة كي يفسدوا ثقة الناس بهم فينفضوا عنهم ويخلوا الجو للمفسدين دونهم.

وإنَّ التفاف العلماء حول مرجعية واحدة تتولىٰ شأن تنظيم أوضاعهم وسنّ القوانين والأنظمة التي تحمي جهاز العلم من ذلك الاختراق ليقلب الصراع من داخل الأُمَّة بين أبنائها إلى خارجها مع أعدائها.

فهل يسارع العلماء إلى توحيد ولائهم على مرجع واحد منهم ليتمكنوا من القيام بدورهم الحقيقي في الصراع ضد الباطل. نرجو ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

المقالة الرَّابعة عشرة(*)

وحدة الولاء تمكن العلماء من رصد الأعداء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّه لمَّا كان الصراع بين الحق والباطل حتمياً ومستمراً منذ أن وجد آدم ومنذ أن رفض إبليس السجود له وإلى أن تقوم الساعة وأن اتخذ في مختلف المراحل أساليب قد تتفق مع أساليب الناس اليوم وقد تختلف معها لكنها في النهاية تهدف إلى خدمة هذا الصراع.

ومعلوم أنَّ الانتصار في هذه المعركة لأحد الطرفين على الآخر لا بدَّ وأن يتوفر له عنصران:

العنصر الأوَّل ـ القوة البدنية وصحتها:

والمقصود بالقوة البدنية أن يكون الخصم متمتّعاً ببدن خال من الأمراض الحسّية التي تُعيق إمكانية تحركه وانتقاله من مكان لآخر أو تمنع القدرة على التفكير والتركيز فيه، لأنَّ العقل المشغول بأمراض الجسد لا يمكن أن ينتهي في تفكيره إلى نتيجة صحيحة لأنَّها تكون في العادة ناشئة عن الأجواء المحمومة التي يعانيها من جرَّاء ذلك المرض أو ذلك النقص في بدنه.

(*) جمادى الثَّانية سنة ١٤١٣ هـ.

فالجسم آلة للروح ومتى كانت الآلة كآلة كان عملها كليلاً فلا يرجى منها كثير خير ولا كبير تأثير.

ولهذا كانت الرياضة مطلوبة شرعاً إذا كانت تهدف إلى تقوية الجسم لإعداده من أجل الجهاد في سبيل الله لأنَّ الجسم الضعيف لا يلبث أن ينهزم في المعركة لأنَّه غير قادر على الصبر في ميدان المواجهة المادية فلا يجد بين عينيه سوى أحد اختيارين: إمَّا أن يواصل المعركة مع علمه بالعجز عن تحقيق النصر فيها لضعفه وإمَّا أن ينسحب منها لعلمه بأنَّ النتيجة ليست لصالحه وفي الحالتين هو منهزم من معركة قد يكون لها أثر كبير في تحويل مسار حياته.

ولهذا ورد الشرع بالحضّ على الإعداد البدني فقال ﷺ: «علِّموا أبناءكم السباحة والرماية»[1].

العنصر الثَّاني ـ القوة العقلية وخبرتها:

والمقصود بالقوة العقلية سلامة القدرة على التفكير مع وجود ذخيرته الدافعة إلى الأمام والواقية من السقوط في هوّة ما يحفره الناس بعضهم لبعض، فإنَّ خبرة الشخص ومعرفته لها أهمية كبيرة في تحديد الوجهة الصحيحة التي يجب أن يسلكها البدن لتحقيق التفوق على الخصم يعينه في ذلك ما اكتسبه من أخبار ومعلومات.

ولهذا كان المؤمن القوي قوة مطلقة في بدنه وفي عقله «أحبُّ إلى الله تعالىٰ من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير»[2].

---

(١) رواه الدَّيلمي في الفردوس عن بكر بن عبد الله بن الرَّبيع الأنصاري ورواه ابن منده في كتاب المعرفة. وقد رمز له السيوطي با لحسن وأشار المناوي إلى أنَّ له شواهد ولعمر بن الخطاب: (علِّموا أبناءكم السباحة والرماية والفروسية). انظر فيض القدير، جـ ٤، ص ٣٢٧، رقم الحديث ٥٤٧٨.

(٢) رواه مسلم. انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢، ص ٢٤٦، كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم الحديث ١٨٤٠.

وما يقال في العامة يقال أيضاً في العلماء فإنَّ المجموعة المتجانسة منهم في المعتقد بمثابة الجسد الواحد فإذا لم يكن لهم قيادة واحدة تحفظ طاقاتهم من التبديد في صراعات جانبية يصبحون كالجسم المريض لا يلبث أن يتهاوىٰ أمام خصمه عند اللقاء والمواجهة لأنَّه لا قدرة له على رصد تحركات خصمه لا على الصعيد العقائدي السياسي ولا على الصعيد الاقتصادي ولا على الصعيد الاجتماعي لأنَّه في حال صراع فيما بين أفراده يستنزف طاقته المادية وطاقته العقلية.

فهل يسعىٰ العلماء إلى توحيد ولائهم على مرجع واحد منهم ليتمكنوا من الاشتغال بعدوهم بدلاً من الاشتغال بأنفسهم عنه. نرجو ذلك.

المقالة الخامسة عشرة(*)

وحدة الولاء دواء ناجع لإدواء العلماء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ خلق الناس وفاوت ما بين عقولهم كما فاوت ما بين أبدانهم وألوانهم وألسنتهم **﴿ومن آياته خلق السَّماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾**(١) كما فاوت ما بين طبائعهم ونفسياتهم فمنهم كريم النفس ومنهم لئيمها وبالتالي يكون تحركه في مجتمعه بما يتناسب ونوعية هذه النفس أو تلك ويكون منه الانسجام مع الغير أو التنافر مع ما يترتب على ذلك من خير في الأمَّة أو شرّ لأنَّه إذا كان ذا علم ومعرفة سوف يؤثر في قطاع من الناس فيتطبَّعون بطباعه ويتخلَّقون بأخلاقه، ومن ثمَّ يعمد إلى استغلالهم لتحقيق تطلّعاته وترجمة آرائه على الأرض في المجتمع الذي يعيش فيه، ممَّا يجر إلى التصادم مع المخالفين له في ذلك فينتشر الخلاف بين الناس وينتج عنه فساد النفوس بعضها على بعض فيكون الحقد والحسد والكراهية والظنون السيئة بينهم فيؤدي كل ذلك إلى الفساد في الأرض وهو الأمر الذي نهىٰ الله تعالى الناس عنه في قوله تعالىٰ: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**(٢).

(*) رجب سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

لذلك كان لا بدَّ وأن يكون هناك ضابط يمنع من هذا الفساد أن يستشري في الناس بربط العلماء الذين هم أكثر تأثيراً في الناس بسبب ارتباطهم بالوحي السماوي الذي ترتبط به فطرة البشر بطبيعتها التي خلقها الله تعالىٰ عليه وإن طرأ عليها بعد ذلك من العوامل ما يفسدها ويشوِّه نضارتها، وأعني بهم علماء الدين الإسلامي باعتباره الدين الأكمل والأصحّ لأنَّ الله تعالىٰ قد تكفَّل بحفظه من خلال حفظ كتابه الذي أنزله على قلب محمَّد ﷺ ﴿إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون﴾[1] ويقتضي حفظ الكتاب أن تحفظ السنَّة لأنَّها مثله في الحجة والبيان كما قال ﷺ: «أما أنِّي أُوتيت القرآن ومثله معه»[2].

وحتى لا يتَّجه بعض العلماء ممَّن انحرفت نفوسهم عن سنن الخير والهداية بما اشتملت عليه نفوسهم من لئيم الطباع ورديء النوايا والذين قد يحملهم ذلك على محاولة تزوير النصوص الشرعية لتلبية مطامع نفوسهم المالية والوجاهية فلا بدَّ من أن يكون هناك ارتباط بين العلماء جميعاً في البلد مع الرأس الواحد الذي يجب أن يكون منهم وفيهم ليشكِّل معهم جهازاً علمائياً ينبثق عنه مجلس للشورىٰ يكون من كبارهم لمنع المغرضين من العلماء من الوصول إلى مطامعهم على حساب الدين والأمَّة.

فهل يسعىٰ العلماء إلى توحيد ولائهم لمعالجة أدواء المنحرفين فيهم. نرجو ذلك.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه ـ انظر جمع الفوائد، جـ ١، ص ٢٨، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، رقم الحديث ١٢٨.

المقالة السَّادسة عشرة(*)

أصناف العلماء تجاه وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ لله تعالىٰ سنناً في هذه الحياة ومن هذه السنن أنَّ الحق والباطل في حال صراع دائم في محاولة لفرض كل منهما هيمنته على الآخر ولمَّا كان الحق صادراً عن الله تعالىٰ، وهو ذو القوة المتين العليم الحكيم فإنَّ الحق هو الغالب قطعاً بالحجة والبيان، وكذلك أهل الحق ولكن بشرط أن يحمله رجال صادقون مخلصون يفتدونه بأرواحهم وأموالهم عندئذٍ يقذف الله تعالىٰ بهم الباطل فيقضي عليه ويلاحقه كما قال تعالىٰ: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾(١) ﴿**قل جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً**﴾(٢). فالهزيمة لاحقة بالباطل إذا كان أهل الحق متماسكين متآلفين متمسّكين بالحق ولو على حساب مصالحهم الخاصة ومنافعهم الشخصية.

ولو شاء الله تعالىٰ لنصر الحق من غير أن يحمله رجال يدافعون عنه في الناس ليندرج تحت سنَّة الله تعالىٰ الكونية التي تتحقق بقوة الله تعالىٰ وقدرته كما قال تعالىٰ: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حقَّ القول منِّي لأملأنَّ جهنَّم من الجنَّة والناس أجمعين**﴾(٣).

(*) شعبان سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨١.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٣.

وذلك بتقديم الحق للناس فمن رفضه كان من أهل النار يوم القيامة وإن سرح ومرح في هذه الدنيا.

ولمَّا كان الناس مجبولين على حب الشهوات سواء منها شهوة الجاه أو شهوة الجنس أو شهوة المال، والعلماء من هؤلاء الناس، فهم بإزاء الحق على صنفين:

الصنف الأوَّل: خاضع ومستكين لشهوته فيرفض الحق ويمتنع عن الانصياع له مراعاة لشهوة مالية يسعىٰ إلى تحقيقها يتعارض الحصول عليها مع إقراره بالحق والعمل به أو مراعاة لشهوة جنسية يسعىٰ إلى تحصيلها يتعارض الحصول عليها مع إقراره بالحق والعمل به، أو مراعاة لشهوة وجاهية من منصب سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو غير ذلك، يتعارض تحصيله مع إقراره بالحق والعمل به، فيعمد إلى تشويه صورة الحق أو تشويه صورة من يحمل هذا الحق للتشكيك فيه وتبرير عدم الأخذ به غافلاً عمَّا سيؤول إليه ذلك الموقف من صد الناس عن الحق وهم لا يعلمون حقيقة الدافع له على رفضه فيصبح واحداً من أئمَّة الضلال ودُعاة النار الذين يقفون على أبواب جهنم يقذف من استجاب له فيها.

الصنف الثَّاني: خاضع للحق ومستجيب له، يناصره كلَّما استطاع بالقول والعمل، وإذا لم يستطع لزم الصمت يتحين فرصة الإعراب عمَّا في نفسه تجاهه لتخليص ذمَّته أمام الله وتجنُّب تضليل الناس عن الحق.

وتوحيد الولاء يهدد المصالح الذاتية وتضيع به فرص الظهور والرئاسة والوجاهة الدنيوية فاحرص أيُّها العالم على أن تؤثر الحق والمصلحة العامة على الباطل والمصلحة الخاصة، وثوابك عند الله تعالىٰ كبير يوم القيامة.

المقالة السَّابعة عشرة(*)

موقف الصادقين من العلماء ممَّن يرفض منهم وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ العلماء هم قدوة العامة من الناس بحكم دراستهم للشريعة الإسلامية التي أنزلها الله تعالىٰ على رسوله محمَّد ﷺ وجعل له حق بيانها للناس تعليماً وتوجيهاً كما قال تعالىٰ: ﴿**وأنزلنا إليك الذِّكر لتبيِّن للناس ما نزل إليهم**﴾[1] فهو الأعلم بحقائقها وغاياتها ممَّن سواه من البشر، حتى استحقَّ بذلك أن يجعله الله تعالىٰ محل قدوة المؤمنين به على مرِّ الدهور إلى أن تقوم الساعة.

ومن هنا أصبح للعلماء دور كبير وخطير في حياة الأُمَّة الدينية على مستوى العقيدة والشريعة علماً وعملاً واعتقاداً وسلوكاً حيث يتبعهم العامة من الناس ويثقون بهم ثقتهم بشريعتهم ويعطونهم من الاحترام والمتابعة بمقدار هذه الثقة.

وإذا كان للعلماء مرجع واحد وله مجلس يتشكَّل من هيئة كبار العلماء في البلد مع القيادات الحركية للعمل الإسلامي يصدر عنه الموقف العلمي والعملي منع من تشرذم الساحة الإسلامية بحكم التزامهم

(*) رمضان سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة النَّحل، الآية: ٤٤.

بقرار هذا المجلس من واقع الولاء الواجب فيما بينهم كمؤمنين بالله تعالىٰ ورسوله كما قال تعالىٰ: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾**[1] وقال: **﴿إنَّما وليُّكم الله ورسوله والَّذين آمنوا﴾**[2].

كما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً»[3] وشبك بين أصابعه. وقال: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ»[4].

وحين لا يكون هناك التزام من بعض العلماء بقرارات هذا المجلس مع وجود من يثق بهم من عامة الناس ويحترم رأيهم وموقفهم يؤدِّي ذلك إلى نشوء الانشقاقات والتمزّقات في جسد الأمَّة في البلد ممَّا يفتح المجال لأعداء الأمَّة كي يدخلوا إلى عمق جسدها ليفتكوا به من داخله في أجهزته وخلاياه حتى يصلوا إلى موقع التفكير فيه وهو مجلس الشورىٰ وإلى موقع الحياة منه وهم المفكرون والعلماء وبالتالي يخترقون الأجهزة الداخلية السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والتعليمية وغيرها لإضعافها وتطويعها بعد تمزيقها لنفوذهم المادي والأدبي وصولاً إلى إلغائها من الوجود بإلغاء دورها على جميع الأصعدة المحلية والدولية كما تفعل الجراثيم بالجسد حين يصيبه جرح حيث إذا لم يستدرك بالمعالجة تفتك به من الداخل ويؤدِّي استمرار النزيف منه إلى إضعافه فيهلك.

---

(١) سورة التَّوبة، الآية: ٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب المؤمن للمؤمن كالبنيان. انظر مختصر مسلم للمنذري، جـ ٢، ص ٢٣٢، رقم الحديث ١٧٧٣.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب المؤمنون كرجل واحد. انظر مختصر مسلم للمنذري، جـ ٢، ص ٢٣٢، رقم الحديث ١٧٧٤.

ولذلك وجب على العلماء الصادقين أن يستنكروا بمختلف الوسائل المتاحة على من يخرج على وحدة الولاء منهم لأنَّهم مؤتمنون على عقيدة الأُمَّة وشريعتها التي هي سرّ حياتها وقوتها.

فهل يسعىٰ العلماء إلى توحيد ولائهم على مرجع واحد منهم ويواجهون الرافضين لتحقيق ذلك من المحسوبين عليهم. نرجو ذلك.

obeikandl.com

المقالة الثَّامنة عشرة(*)

في تفكُّك العلماء تدمير لوحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فقد أنزل الله تعالىٰ على محمَّد ﷺ الشريعة وضمنها الإشارة إلى أسباب القوة وأسباب الضعف، وأمر المسلمين بالأخذ بأسباب القوة والحذر من أسباب الضعف لأنَّهم بحكم إسلامهم سوف يخوضون الحرب المادية العسكرية والحرب المعنوية الفكرية ضد الجاحدين لها ممَّن خافوا على مواقعهم القيادية الوجاهية وعلى مواقعهم المالية الاقتصادية وعلى مواقعهم الانتفاعية الاجتماعية أن تذهب عليهم بسبب ما فرضته الشريعة على أتباعها من قيود في الوصول إلى هذه المواقع والبقاء فيها من أن يأخذها بحقها ويؤدِّي ما عليه فيها كما قال ﷺ لأبي ذرّ وقد طلب منه أن يجعله والياً على بعض الولايات التابعة للدولة الإسلامية فضرب النَّبيّ ﷺ على كتف أبي ذرّ وقال له: «يا أبا ذرّ إنَّك امرؤٌ ضعيف وإنَّها لأمانة وإنَّها لخزي وندامة يوم القيامة إلَّا من أخذ بحقها وادى ما عليه فيها»(١).

ومن هنا كانت محاربة أكابر المجرمين والمتنفذين في الأرض لهذه

(*) شوال سنة ١٤١٣ هـ.

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري، جـ ٢، ص ٨٨، كتاب الإمارة، باب كراهية طلب الإمارة، رقم الحديث ١٢٠٤.

الشريعة التي تأمر بالعدل والإحسان وتحرم الظلم والإجرام بكل صوره وأشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها بغض النظر عمَّن صدر وفيمن نزل كما قال تعالىٰ: **﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلَّكم تذكَّرون﴾**[1].

﴿إنَّ الله يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنَّ الله نِعِمَّا يعظكم به إنَّ الله كان سميعاً بصيراً﴾[2].

ولمَّا كان العدل أساس الملك لأنَّه يمنع من احتقان القلوب بالحقد على من يظلم غيره وتترصد فرص الانتقام منه كان أولىٰ الناس بمراعاته والاهتمام بمعرفته وتحقيقه هم علماء الأُمَّة لأنَّهم ورثة نبيها في الدعوة إلى الشريعة والعمل على تطبيقها في أُمَّته من بعده لحفظها من عوامل الانهيار من داخلها أن تنتشر فيها بفعل الطامعين في المواقع العليا لتحقيق شهواتهم المادية والمعنوية ولو على حساب الأُمَّة كلها.

ولمَّا كانت الاجتهادات تتفاوت في النصوص الشرعية غير الصريحة في بعض القضايا إمَّا لإطلاقها أو لعمومها أو لإجمالها أصبح من المحتَّم أن يكون للعلماء مجلس يضم كبارهم ويكون بقيادة واحد منهم لعرض القضايا عليه ومناقشتها ثمَّ الخروج برأي واحد على الأُمَّة لمنع اختلافهم في اجتهاداتهم من الوصول إلى تفكيك عرى الأُمَّة وتدمير أركان مجتمعها فينفذ إليها أعداؤها ويهيمن عليها خصومها.

فهل يوجد العلماء ولاءهم ليمنعوا تفكيك الأُمَّة بسبب خلافهم وتعارض آرائهم. نرجو ذلك.

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة النِّساء، الآية: ٥٨.

المقالة التَّاسعة عشرة(*)

بوحدة الولاء تحفظ كرامة العلماء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ أنزل الناس منازلهم في القرآن الكريم من أنبياء وشهداء وصالحين وأولياء ليعرف الناس أقدارهم ويسعوا إلى التشبه بهم في أعمالهم فيرتفعوا إلى مستوىٰ الكمالات البشرية وإن كان للأنبياء منزلة لا يلحق بها غيرهم من الناس لأنَّ النبوَّة صفة وهبية من الله تعالىٰ وليست كسبية من الناس، فإنَّ الإنسان لا يمكن أن يصبح نبياً مهما تعاطىٰ من أسباب تربية النفس وتقويمها على الخير والصلاح حتى يكون الله تعالىٰ هو الذي يختاره ويجعل فيه رسالته.

ولذلك فقد أمر الله تعالىٰ باتخاذ الأنبياء قدوة في الناس فقال تعالىٰ بعد سرد أسماء جملة منهم: ﴿**أولئك الَّذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده**﴾(١) كما قال تعالىٰ أيضاً: ﴿**لقد كان لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والَّذين معه**﴾(٢) وقال أيضاً: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾(٣).

كما رغب الله تعالىٰ بسلوك طريق الشهداء لتحصيل ما وصلوا إليه

(*) ذو القعدة سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

من كرامة عند الله تعالىٰ فقال: ﴿**ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربِّهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[1].

ووعد الله تعالىٰ الصالحين وهم الأولياء الصادقون بالمفهوم القرآني درجات عالية وعطايا إلٰهية كبيرة ﴿**ألا إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الَّذين آمنوا وكانوا يتَّقون**﴾[2].

﴿**إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون نزلاً من غفور رحيم**﴾[3].

ومثل ذلك يقال في العلماء الذين يبغون بعلمهم الله تعالىٰ والدار الآخرة فإنَّ الله تعالىٰ رفع منزلتهم في الدنيا وأعلىٰ شأنهم في الآخرة ﴿**يرفع الله الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العلم درجات**﴾[4] وفي الحديث: «من يُرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين»[5].

ولمَّا كانت هذه هي منزلتهم عند الله وعند رسوله أصبح لهم مكانة عليا عند المؤمنين لما يحملون في قلوبهم من شرع ودين، وحتى أصبح كثير من ذوي النفوذ السياسي المنحرفين يعمدون إلى استقطاب بعض العلماء ليقوموا بتمجيدهم وتبرير أعمالهم وستر عوراتهم أمام الناس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٣.

(٣) سورة فصِّلت، الآية: ٣٢.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه عن معاوية وعن ابن عباس. انظرمجمع الفوائد، جـ ١، ص ٣٩، رقم ٢٠٩ و ٢١٠.

فيتحول بعض العلماء وربما بسبب الحاجة ـ ولا عذر لهم في ذلك ـ إلى ألسِنَة للمتنفذين من ذوي الأهداف المختلفة فيختلف العلماء تبعاً لاختلاف السياسيين ويبتذل العلم للدنيا فأين علماء الآخرة.

ولا يعود للعلماء دورهم إلاَّ إذا كان لهم مرجع واحد فتصبح لكلمتهم تأثيرها على السياسيين وغيرهم فيرفعهم علمهم وتعود إليهم كرامتهم بين الناس، فهل يفعلون، نرجو ذلك.

obeikandl.com

المقالة العشرون(*)

خطر استمرار تردد العلماء في دعم مسيرة وحدة الولاء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ الله تعالىٰ قد أكرم العلماء الذين تشرَّفوا بمعرفة مضمون رسالة الله تعالىٰ التي جاء بها محمَّد ﷺ وأصبحوا بذلك أعرف بالحقائق الشرعية والأدوية المعنوية للروح البشرية التي تصدّىٰ لعلاجها القرآن الكريم كما قال تعالىٰ: ﴿**ونُنزِّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾(١) ﴿**قل هو للَّذين آمنوا هدًى وشفاء**﴾(٢) ﴿**يَا أَيُّها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدًى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير ممَّا يجمعون**﴾(٣) فجعل الله تعالىٰ من إكرامهم في الدنيا أن أوجب على الناس احترامهم ورفع فيما بينهم درجاتهم فقال تعالىٰ: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾(٤) وقال: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والَّذين أُوتوا العلم درجات**﴾(٥) بل وأوجب على الناس الرجوع إليهم في استجلاء الحق ومعرفته قبل سلوك الطريق إلى تحقيق الغاية منه فكانوا بذلك محط قلوب الناس وأنظارهم ومحل استشارة الناس واعتبارهم كما قال تعالىٰ:

(*) ذو الحجة سنة ١٤١٣ هـ.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة فصِّلت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) سورة الزُّمر، الآية: ٩.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١١.

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1].

وإنَّ علاج أمراض النفوس البشرية بصفتها الفردية أو بصفتها الجماعية التي تصدّىٰ لها القرآن الكريم ليوجد بذلك المجتمع الإسلامي القوي المتماسك ليصبح بقمته وقاعدته بمثابة الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء وتعاون للمحافظة عليه والدفاع عنه ومعالجته، إنَّ هذا العلاج لا يعطي النتيجة المطلوبة إذا لم يكن هناك تعاون وتنسيق وانصهار بين مجموع علماء البلد ثمَّ علماء الأمَّة للتشاور والتكامل في وضع تصور لما يعانيه المجتمع الإسلامي من مشكلات ثمَّ وصف الدواء الصحيح لمعالجتها من واقع الكتاب والسنَّة.

فإذا استمرَّ العلماء في التفرد أثناء التعاطي مع قضايا المجتمع ومشاكله فسيؤدِّي ذلك إلى أن يصدر كل منهم أحكاماً جزئية وغير مدروسة في المعالجة وسيجرّ ذلك إلى التنازع والخصومة والاختلاف لتفاوت العقول والفهوم ثمَّ حين لا يكون هناك مرجعية منهم للفصل في هذه النزاعات بينهم واختبار أصح تلك الآراء والاجتهادات سيؤدِّي إلى نفور عامة الناس وخاصتهم من الدين جملة وتفصيلاً وربما بدسائس من العلمانيين الذين يصبح المناخ عندئذٍ مؤاتياً لهم فيطرحون المطالبة بالعلمانية لإقصاء الدين ونزاع المتدينين عن مراكز التأثير في المجتمع ليبقىٰ رازحاً تحت هيمنة شياطين الجن والإنس يعاني من أمراضهم وأضرارهم.

فهل يدرك العلماء خطر ترددهم في دعم مسيرة وحدة الولاء فيهم. نرجو ذلك.

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ٤٣.

الخاتمة:

وبهذه المقالات العشرين نكون قد أنهينا المجموعة الثانية من سلسلة (مقالات في الولاء) تذكرة للإخوة العلماء بواجب السعي إلى توحيد الولاء ليأخذوا بذلك دورهم الصحيح في المجتمع الذي يعيشون فيه فيحفظ الله تعالىٰ بهم عند ذلك البلاد والعباد من الضياع في أتون الأحداث المتلاحقة والأوضاع المتقلبة.

والحمد لله رب العالمين

obeikandl.com

المراجع

- القرآن الكريم.
- جمع الفوائد من جامع الأُصول ومنبع الزوائد، للإمام محمَّد بن محمَّد بن سليمان المغربي المتوفىٰ سنة ١٠٩٤ هـ - ١٩٦١ م بتعليق السيد عبد الله هاشم اليماني بالمدينة المنورة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلاَّمة عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولىٰ سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م، مطبعة مصطفىٰ محمَّد صاحب المكتبة التجارية الكبرىٰ بمصر.
- كشف الخفاء ومزيل الألباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمَّد العجلوني المتوفىٰ سنة ١١٦٢ هـ بتعليق أحمد القلاش مطبعة الفنون بحلب، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي.
- مختصر صحيح مسلم للإمام المنذري زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفىٰ سنة ٦٧٦ هـ بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.

الفهرس

المقدمة ٥
المقالة الأولى: دور العلماء في حمل وحي السماء لتوحيد الولاء ٩
المقالة الثانية: دور العلماء في تحقيق وحدة الولاء ١١
المقالة الثالثة: واجب العلماء في بيان وحدة الولاء ١٣
المقالة الرابعة: أولوية العلماء في الدعوة إلى وحدة الولاء ١٥
المقالة الخامسة: دور العلماء في دعم مسيرة وحدة الولاء ١٧
المقالة السادسة: أثر كلمة العلماء في بيان وحدة الولاء ١٩
المقالة السابعة: أثر وحدة العلماء في سد أبواب التخريب على الأعداء ٢١
المقالة الثامنة: أثر وحدة العلماء في تحقيق وحدة الولاء ٢٣
المقالة التاسعة: أثر وحدة الولاء في دعم كلمة العلماء ٢٥
المقالة العاشرة: أثر وحدة الولاء في رفع مكانة العلماء ٢٧
المقالة الحادية عشرة: أثر وحدة الولاء في إصلاح سمعة العلماء ٢٩
المقالة الثانية عشرة: أثر وحدة الولاء في تضييق مجال الخلاف بين العلماء ٣٢

obeikandl.com

المقالة الثالثة عشرة: وحدة الولاء بين العلماء تقلب الصراع على الأعداء ٣٤
المقالة الرابعة عشرة: وحدة الولاء تمكن العلماء من رصد الأعداء ٣٦
المقالة الخامسة عشرة: وحدة الولاء دواء ناجع لإدواء العلماء ٣٩
المقالة السادسة عشرة: أصناف العلماء تجاه وحدة الولاء ٤١
المقالة السابعة عشرة: موقف الصادقين من العلماء ممن يرفض منهم وحدة الولاء ٤٣
المقالة الثامنة عشرة: في تفكك العلماء تدمير لوحدة الولاء ٤٦
المقالة التاسعة عشرة: بوحدة الولاء تحفظ كرامة العلماء ٤٨
المقالة العشرون: خطر استمرار تردد العلماء في دعم مسيرة وحدة الولاء ٥١
الخاتمة ٥٣
المراجع ٥٤
الفهرس ٥٥

obeikandi.com